من تراب الطريق! (١٧٦) التصميم والإصرار ! (*)

فى تحقيق أهدافنا الكبيرة، نحتاج إلى التصميم والإصرار، ولذلك نحرص عليهما، أما فى حياتنا اليومية فلا نحتاج كثيرا إلى التصميم والإصرار، ولذلك فلا نهتم بتنمية أو تعليم التصميم والإصرار . وأحيانا نتبرم بهما إذا صادفناهما فى غيرنا على شاكلة تبرمنا بالغباء أو التصلب أو الجمود !

فحظ الكثرة الكاثرة من القدرة على التصميم والإصرار - ضئيل جدا. وهذا يجعل مقاومتهما لمن أوتوا قدرة عالية على التصميم والإصرار تكاد تكون مستحيلة إن لم تكن معدومة !

والتصميم والإصرار تركيز الالتفات على الشىء أو الهدف المصمم عليه لمدة فيها يشغل الشىء أو الهدف مساحة التفات الآدمى، ويستحوذ على اهتمامه، ويكثف حوله فكره وعواطفه .. فلا يبقى من ذلك قدر هام يعطى لشىء أو هدف آخر ما يشارك به فى الأمر المصمم عليه مشاركة عادلة.

هذا التركيز مفيد إذا لم يبالغ فيه الإنسان، وهو ضرورى للتعلم وللإتقان ولازم للبحث العلمى وغيره من الأبحاث . ولا غنى عنه للتأليف الجيد وللتجويد فى الفنون والآداب وإتقان الصناعة والبحث والتجويد بعامة .. وكل من هذه وتلك مساع لها موضوع محدد يحدد مجال التصميم

(*) المال ٢٠٠٨/١٢/١٦

ودائرته تحديداً آمنا، لا يغرق فى الغالب الأعم حياة الآدمى أو يطغى عليها، إلاّ إذا كان الآدمى غير سوى !

أما إذا كان موضوع التصميم والإصرار نصرة فكرة كلية شاملة تشمل كل الجنس أو كل النوع أو كل اللون أو كل المنتمين لوطن معين أو لغة معينة أو دين معين - فإنه يكون أكثر تعرضا للمبالغة فيه . هذه المبالغة شديدة الخطورة من جهة لأن التصميم أو الإصرار عندئذ لا يسمح لصاحبه بحرية التصرف والتخلص بالنسبة لكل من يخالف أو يعترض سبيل الفكرة المستأثرة فى مبالغة ومغالاة أو يهدد أو يُظن أنه يهدد نجاحها، وكذا بالنسبة لكل من يخالف أو يعترض أو يهدد أو يُظن أنه يهدد أو يعوق نجاح الفكرة أو وصولها إلى غايتها !

إلى هذه المبالغة فى التصميم والإصرار، تُعزى الديكتاتوريات الفردية والعامة - حين تهيئ أو تبرر لصاحبها رؤية أحادية للأشياء، ووجها واحدا للأمور، فتسوقه بالوعى أو باللا وعى إلى ديكتاتورية مطلقة على الأشخاص والأشياء، فيجتهد ما وسعته الطاقة أو خارج ما تسعه إلى حد الشطط فى فرض ما يريد توسلا إلى نصرة وإنجاح وتوطيد معتقده الذى غالى فيه وتشيع له إلى حد التطرف !

يصاب التصميم والإصرار بالعمى الضرير، إذا لم يدرك أن للحقيقة عدة أوجه، وأن ما لدى الآخرين جدير بالنظر والفهم . فارق كبير بين التصميم والإصرار للإنجاز والإجادة والإتقان، وبين الاغترار الذى ينظر للأمور من ثقب واحد لا يرى سواه .. معظم خطايا البشرية، واستبداد الحكام، مردودة إلى هذا الثقب الضرير الضيق !